جامعة
بنغازي الحديثة

مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

مجلة علمية الكترونية محكمة

Journal of Benghazi Modern University of Sciences and Humanities

العـــدد الثامن

لسنة 2020

حقوق الطبع محفوظة

شروط كتابة البحث العلمي في مجلة جامعة بنغازي الحديثة للعلوم والدراسات الإنسانية

1- الملخص باللغة العربية وباللغة الانجليزية (150 كلمة).
2- المقدمة، وتشمل التالي:
- ❖ نبذة عن موضوع الدراسة (مدخل).
- ❖ مشكلة الدراسة.
- ❖ أهمية الدراسة.
- ❖ أهداف الدراسة.
- ❖ المنهج العلمي المتبع في الدراسة.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث - التوصيات).
4- قائمة المصادر والمراجع.
5- عدد صفحات البحث لا تزيد عن (25) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

القواعد العامة لقبول النشر

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والانجليزية؛ والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية (النتائج) والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
- ألا يكون البحث قد سبق نشرة أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى أو مستل من رسالة أو اطروحة علمية.
- أن يكون البحث مراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على ملف وورد، حجم الخط (14) وبخط (Arial 'Body') للغة العربية. وحجم الخط (12) بخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية.
- أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية.
- أن يكون البحث ملتزما بدقة التوثيق حسب دليل جمعية علم النفس الأمريكية (APA) وتثبيت هوامش البحث في نفس الصفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
- أن تُثبت المراجع بذكر اسم المؤلف، ثم يوضع تاريخ نشرة بين حاصرتين، ويلي ذلك عنوان المصدر، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الجزء، ورقم الصفحة.
- عند استخدام الدوريات (المجلات، المؤتمرات العلمية، الندوات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة، ثم رقم المجلد، ثم رقم العدد، ودار النشر، ومكان النشر، ورقم الصفحة.

2. يقدم الباحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية في حدود (150 كلمة) بحيث يتضمن مشكلة الدراسة، والهدف الرئيسي للدراسة، ومنهجية الدراسة، ونتائج الدراسة. ووضع الكلمات الرئيسية في نهاية الملخص (خمس كلمات).

3. تحتفظ مجلة جامعة بنغازي الحديثة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الالكتروني الخاص بالمجلة جامعة بنغازي الحديثة وهو كالتالي:

- ✓ يرسل البحث الكترونياً (Word + Pdf) إلى عنوان المجلة info.jmbush@bmu.edu.ly او نسخة على CD بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ولقبة العلمي، ومكان عملة، ومجاله.
- ✓ يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر (موجود على موقع المجلة) وكذلك ارفاق موجز للسيرة الذاتية للباحث إلكترونياً.
- ✓ لا يقبل استلام الورقة العلمية الا بشروط وفورمات مجلة جامعة بنغازي الحديثة.
- ✓ في حالة قبول البحث مبدئياً يتم عرضة على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- ✓ يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال شهرين من تاريخ الاستلام للبحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- ✓ في حالة ورود ملاحظات من المحكِّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها عشرة أيام.
- ✓ الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- ✓ الأفكار الواردة فيما ينشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن أراء أصحابها.
- ✓ لا يجوز نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.
- ✓ يدفع الراغب في نشر بحثه مبلغ قدره (400 د.ل) دينار ليبي إذا كان الباحث من داخل ليبيا، و (200 $) دولار أمريكي إذا كان الباحث من خارج ليبيا. علماً بأن حسابنا القابل للتحويل هو: **(بنغازي – ليبيا - مصرف التجارة والتنمية، الفرع الرئيسي - بنغازي، رقم 001-225540-0011. الاسم (صلاح الأمين عبدالله محمد)**.
- ✓ جميع المواد المنشورة في المجلة تخضع لقانون حقوق الملكية الفكرية للمجلة.

info.jmbush@bmu.edu.ly

00218913262838

د. صلاح الأمين عبدالله
رئيس تحرير مجلة جامعة بنغازي الحديثة
Dr.salahshalufi@bmu.edu.ly

مساجلات وانطباعات الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الدرعي حول طرابلس وبرقة في الرحلة الناصرية (1709-1710م)

*** د. عثمان محمـد البدري، ** د. خالد حمد سعد**

(* أستاذ مساعد بقسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم / سلوق. ** أستاذ مساعد بقسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم المرج - جامعة بنغازي - ليبيا)

الملخص:

تمثل الآثار المكتوبة التي تركها الرحالة والتي سجلوا ووثقوا فيها انطباعاتهم الشخصية ووصفوا الأماكن والمواقع التي زاروها سواء بقوا فيها ردحا من الزمن أم كانت مرورا سريعا فقط أمرا في غاية الأهمية، وذلك للعديد من الأسباب منها أن هذه المساجلات تمثل مصدر أولي عن هذه الأماكن أو الأعلام التي كتبوا عنها فلولا هذه الانطباعات لكنا قد فقدنا الكثير من المعلومات التاريخية أو سير الأعلام ذوو التفرد في بعض تخصصات العلم خاصة في فترة مبكرة من العصر الحديث، وربما هذا ما دعانا لتناول ما كتبه الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الدرعي عن المناطق التي مر بها أثناء قيامه بهذه الرحلة قاصدا بيت الله الحرام وخاصة في فترة تاريخية حساسة من تاريخ ولاية طرابلس الغرب وهي قرب انتهاء العهد العثماني الأول والدنو من بداية العهد القرمانلي. المقدمة تناولت فيها أهم أسباب الدراسة والمنهج المتبع فيها والأهداف التي ترمي إليها وكذلك تقسيم الدراسة، ثم يأتي الحديث عن الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي وترجمته الشخصية بعد ذلك الرحلة الناصرية وإعطاء نبذة عنها بعد ذلك تتناول هذه الدراسة قراءات في هذه الرحلة من حيث التعرف على أهم مجالات اهتمام هذا الرحالة ونظرته لواقع إقليمي برقة وطرابلس في فترة زيارته لهما ومما استرعى انتباهنا إن هذا الرحالة كان دائم التركيز على أعلام وعلماء طرابلس من فضلائها الذين التقاهم في مبحث مشاهداته. مبحث ذكر الرحالة ابن ناصر للأماكن والمواقع التي زارها تم التركيز فيه التركيز على الأماكن التي زارها الرحالة وركبة والتي ربما قضى فيها وقتا تزود منها بحاجته ركب الحجيج الذي معه أما مبحث ذكره للمواقع والأماكن التي زارها ابن ناصر في برقة فإنه كان دقيقا في ذكر هذه المواقع وخاصة مصادر المياه ووجدناه مهتما بالمدن القديمة والآثار بصفة عامة. الخاتمة تحتوي على أهم النتائج التي توصلت غليها الدراسة منها على سبيل المثال ذكره لبعض المواقع التي لم تعد موجودة الآن، والتفاصيل هي في ثنايا هذه الدراسة.

Recordings and impressions of Moroccan itinerant Ahmed bin Nasser Al-Darei Around Tripoli and Cyrenaica in the trip Nasiriyah (1709-1710 AD)

Abstract.

The study aimed to shed light on the most important observations of the traveler Al-Dare and his view of the reality of a regional Cyrenaica and Tripoli. This study focused this visit to Tripoli celebrities and scholars he met, also focus on the places and sites he visited, the places from which they bought their food on the way to Hajj, Also sources of water. The importance of studying this subject at the time of the trip, which was at the end of the Ottoman era, the first**.** Study methodology descriptive method and analysis of nomadic observations**.**

The most important results.

1. This trip did not focus on historical events in the region.
2. This trip focused on the most important literary works of poetry and prose.
3. Many of the manifestations of mysticism highlighted in Cyrenaica and Tripoli.
4. She explained the Tripoli people 'annoyance with the Ottoman rule and their rejection of it

- مقدمة:

مما لا شك فيه أن الحديث عن ما كتبه الرحالة عبر العصور التاريخية المختلفة عن المناطق التي زاروها أو مروا بها في حلهم و ترحالهم تعتبر ذات أهمية، خاصة وأن مساجلات هؤلاء الرحالة حفظت لنا معلومات عن هذه لاماكن إضافة إلى توثيق العديد من أسماء لأعلام تعددت اختصاصاتهم واهتماماتهم وبالتالي أصبحت هذه الكتابات والمشاهدات والانطباعات بمثابة توثيق وتأريخ لفترات زمنية فلولا هذه الكتابات لربما ضاعت هذه المعلومات والمواد التاريخية عن هذه الأماكن.

وليس فقط ما كتبه الرحالة في الفترات التاريخية القديمة أو الإسلامية هي من الأهمية بمكان - وهي كذلك - مثلما كان متعارف عليه بين الباحثين والدارسين والمهتمين بالتاريخ بل إن ما كتبه الرحالة في العصور الحديثة المتأخرة لا تقل أهمية عن تلك الكتابات التي سجلت عن الفترات التاريخية السابقة .

إن ما كتبة بعض الرحالة والحجاج والتجار المغاربة في العصور الحديثة أي ما بعد القرن السادس عشر الميلادي عن الأماكن التي زاروها أو مروا بها في أثناء قصدهم المشرق الإسلامي بسبب زيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج يعتبر مجالا بكرا - حسب وجهة نظري - يتطلب الأمر دراسته والوقوف عنده، خاصة وأن هذه المساجلات والكتابات تعتبر بمثابة وثائق تاريخية مهمة حفظت لنا الكثير من الأحداث التاريخية، بالإضافة إلى ذكر أسماء الأماكن ووصفها وأسماء الأعلام كما والحديث عن حياة المجتمع السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية.

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته وهو الموضوع الموسوم ب "انطباعات الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الدرعي حول طرابلس وبرقة في رحلته الرحلة الناصرية 1709-1710م".

هذه الدراسة تعتمد على دراسة واستقراء الجزء الخاص من هذه الرحلة والمتعلق بإقليمي طرابلس وبرقة، وحيث أن هذه الرحلة تتناول مناطق عديدة وهي التي زارها هذا الرحالة في رحلته للحج، وتتجاوز عدد صفحاتها السبعمائة صفحة.

تهدف هذه الدراسة غلى الوقوف على ما كتبه هذا الحاج الرحالة المغربي أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته المعروفة بالرحلة الناصرية عن طرابلس وبرقة أثناء مروره بهما في سفره للحج عامي 1709-1710م حيث أن هذا الرحالة لم يكن يسجل انطباعاته وما يشاهده لمجرد انه هاوي أو يجاري غيره بل كان يكتب بقلم العالم المدرك لما يسجل.

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فهو المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على متابعة مشاهدات الرحالة احمد بن ناصر الدرعي والوقوف معها ومحاولة استخلاص بعض المعلومات التاريخية التي تخص الأماكن التي زارها وكذلك ملاحظاته حول الحياة بصفة عامة في طرابلس وبرقة في القرن الثامن عشر الميلادي والوصول إلى الاستنتاجات التي سنوردها في خاتمة البحث.

أولا: الرحالة أحمد بن ناصر الدرعي والرحلة الناصرية:

قام أحمد بن ناصر الدرعي برحلته إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج عام 1709م أي في القرن الثامن عشر الميلادي.

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن ناصر الدرعي وكنيته أبو العباس ولد في منتصف ليلة الخميس الثامن عشر من رمضان عام 1057هـ/1647م. [1]

هو من فضلاء المغرب وصلحائه، كان شديد الشكيمة على أهل البدع، قوالا للحق، وذكر في رحلته أشياخه له العديد من الكتب فبالإضافة إلى رحلته هذه منها كتاب الأجوبة[2]

تربى في أحضان أسرة اشتهرت بالعلم والتصوف حيث إن والداه تميزا بمكانة اجتماعية ودينية، أمه السيدة حفصة الأنصارية بنت عبدالله بن محمد بن علي، توفي والدها وتركها صغيرة دون سن البلوغ في حجر أمها وربتها أحسن تربية، وكانت تأتي بها في المواسم لزيارة المشايخ وكانت بارعة الحسن وافرة الحياء.

كانت السيدة ميمونة بنت عمرو والدة السيد أحمد بن إبراهيم الأنصاري شيخ زاوية تامكروت تحبها وتحب والدتها فزوجتها لولدها الشيخ بكرا، وفي جماده الأولى عام 1052هـ/ 1642م قتل الشيخ أحمد بن إبراهيم الأنصاري قتله بعض الظلمة من رؤساء أهل درعه.[3]

أبوه هو عبدالله محمد بن محمد بن احمد بن محمد بن الحسين بن ناصر بن عمرو بن عثمان بن ناصر بن احمد بن علي بن سليم بن أبى بكر بن المقداد بن إبراهيم بن سليم بن حزيز بن جبيش بن كلاب بن إبراهيم بن احمد بن المقداد بن إبراهيم بن سليم بن محمد بن جعفر الأمير بن إبراهيم الإعرابي بن محمد الجواد بن علي بن الزبير بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقد كثر النقاش في مسألة نسب الناصرية وقد أورد الباحث أحمد عمالك هذه القضية في أطروحته[4].

ولد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي عام 1011هـ/1602م فهو أغلاني الولادة والمنشأ، دارسي الأصل، درعي الإقليم، تمجروتي الدار، جعفري المنسب، مقدادي الجد، وقد تربى في كنف والده الذي أقراه القرآن، ورباه أحسن تربية.

إن الاطلاع على ترجمة أفراد أسرة الشيخ وبعض أصهاره يوضح ما لهذه الأسرة من وسع في العلم، وشرف في النسب، وامتداد عميق في جذور المجتمع المحيط.

سافر الشيخ أحمد إلى المشرق لأداء فريضة الحج وهو في سن التاسعة عشرة من عمرة مما ساهم في تكوينه وتعدد مشاربه وأكسبه خبرة ودراية.[5]

إذا هذا هو الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن ناصر المغربي المالكي الشاذلي[6] صاحب الرحلة الناصرية والتي سجل فيها هذا الرحالة مشاهداته وانطباعاته على كل المناطق التي مر بها في رحلته إلى الأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج وليس فقط إقليمي طرابلس وبرقة والتي نحن بصدد دراستهما في هذا البحث.

إجازات الرحالة الناصري هي: شهادة الاستماع، والإجازة تكون مؤرخة ويحتفظ بها المستمع أو المستجيز ليستطيع أن يسلم للراغب نظيرتها في رواية كتاب معين عندما تصبح مقصودا بالأخذ والتلقي. حج مترجمنا أربع مرات، وله مؤلفات عدة مثل: الرحلة الناصرية وهي من أشهر مؤلفاته وهي التي نحن بصدد النظر فيها ودراسة بعض جوانبها – فهرسة الشيخ خليفة - الرحلة الشامية - أجوبة فقهية، وله أيضا كتاب في السيرة النبوية بعنوان "تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية" وله أيضا رسالة في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وكتب في الطريقة، "وأسفار المريض في بساط القريض" وهي مجموعة أسفار، وترجمة والدته السيدة ومجموعة رسائل وفهرست.[7]

توفي مترجمنا هذا عام 1128هـ/1515م) وعلى اختلاف في بعض المراجع فعند الرجوع إلى كتاب: الروض الزاهر، نجده ينص على أنه توفي ليلة الجمعة تاسعة عشرة من ربيع الثاني عام تسعة وعشرين ومائة وألف الموافق (1716م) وعمره اثنان وسبعون سنة.[8]

هذا عن صاحب الرحلة وترجمة لسيرته الذاتية والتي من خلالها تعرفنا على صاحبنا وعرفنا أنه من أولئك الذين لهم باع في علوم عصره تاركا مؤلفات لربما ساهم بها في مجال العلم

والمعرفة آنئذ والآن إلى ما كتبه هذا الرحالة عن مناطق طرابلس وبرقة في رحلته التي نوهنا بها سالفا.

في هذا المبحث اتضح لنا الرحالة ابن ناصر لم يكن من طراز عادي بحيث إن مشاهداته لن يكون لها قيمة علمية بل إنه عالم جليل من العارفين بالله وكانت لتنشئته في موطنه وفي كنف عائلته وخاصة أمه لها من التأثير على تكوينه فقد كانت هذه الأسرة لها باع في العلوم المعروفة في المغرب وأيضا ثقافة التصوف وهي الثقافة السائدة آنئذ، مترجمنا لديه العديد من المؤلفات ليس فقط الرحلة الناصرية التي نحن بصدد دراستها منها كتاب الأجوبة، وهذا ما انعكس على جهده في هذه الرحلة والتي نتابعها من خلال بعض القراءات فيها في المبحث القادم.

ثانيا: قراءات في الرحلة الناصرية:

يعتبر كتابات الرحالة من الفن وينبوعا ثرا لمعارف شتى فهو يتصل مباشرتا بمجالات عدة كالأدب والجغرافية[9]، ومن هنا فإن الرحلة الناصرية إضافة إلى كونها تحتوي على معلومات تاريخية هامة، فهي أيضا نصا أدبيا كذلك فهي مصاغة بعبارة عذبة مسبوكة بحذق، وهي مصدر لنصوص نثرية وشعرية، ويكفي أن المتن الشعري بها نصوصه تفوق الألف والأربعمائة بيت.

إن الرحلة إثراء لمعاجم البقاع والأمكنة، إذ أنها تحتوي على أسماء البقاع والقرى المندثرة، ما لا نجده في كثير من كتب المعاجم الجغرافية.

صاحب الرحلة كان دقيقا في النقل بأمانة علمية، حيث أن ابن ناصر من بين الرحالة الذين ذكروا أغلب المظان فحفظ لنا نقولا كثيرة عن مصادر عدة منها ما هو مفقود ومنها لا يزال مخطوطا [10].

إن هذه الرحلة هي نص تأسيسي لكتاب العالم المتصوف شيخ الزاوية التي أصبحت في عهدة مؤسسة اجتماعية تؤدي دورا في تطوير مجالها وحيزها [11]، طبعا وفقا لرؤيتها ومشروعها ووفقا لثقافة عصرها خاصة في منطقة المغرب الإسلامي.

طبعت هذه الرحلة على الحجر بفاس عام 1320هـ/1902م ثم قام بترجمة مختصرة إلى اللغة الفرنسية[12]، وقام علي فهمي بنشر القسم الخاص بليبيا من هذه الرحلة تحت عنوان "الحاجية".[13]

هذه الرحلة تعتبر مصدر مهم جدا من المصادر الأولية التي بها كم كبير من المعلومات عن طرابلس وبرقة في بداية القرن الثامن عشر الميلادي[14] حين وصلها ظهر يوم الأحد الثاني والعشرين من شعبان عام 1121هجرية الموافق ستة عشرة من أكتوبر (1709م).

كانت طرابلس مثلما ما هو معروف معبرا وسبيلا يجب أن يسلكه المغاربة والأندلسيين الذين كانوا يقصدون المشرق، وسواء كان ذلك للتجارة أو لطلب العلم أو للحج فكانت محطة هامة لهم[15].

يتضح لنا من خلال دراسة هذه الرحلة أنها لم تكن تتناول بعض الأحداث التاريخية أو انطباعات شخصية فهي نصا أدبيا يمكن لدارس النصوص الأدبية من إيجاد بعض ضالته في النصوص الأدبية من نثر ومن شعر، وهذه النصوص هي لأعلام من إقليم طرابلس وهو الجزء الذي درسناه، يشير من جانب آخر إلى كثير من مظاهر التصوف التي كانت سائدة في الإقليم في ذلك الوقت، وهو أمر في غاية الأهمية من وجهة نظرنا على الأقل، وهذا يجعلنا نتتبع مشاهداته التي لفت نظر هذا الرحالة في المبحث الموالي.

ثالثا: مشاهدات الرحالة الناصري:

عند وصوله إلى طرابلس - أي الرحالة أحمد بن ناصر ومن معه من ركب الحجيج - نزل هو وركبه بإزاء الهنشير كان ذلك على ما يبدو متزامنا مع فتنة بين أهالي طرابلس والباشا خليل، وقد سجل الرحالة ابن ناصر انطباعاته عن هذا الوالي العثماني حيث يقول "كان ظلوما فجورا* يقدم الكفرة من الروم على أهل الإسلام واتخذ بطانته من النصارى، ويوليهم على المسلمين".[16]

على ما يبدو لنا أن هذا الوالي كان ظالما وقاسيا على الناس في طرابلس، وكان دائم الإساءة إليهم، ولم يكن يحترم علمائهم وأعيانهم لذلك ثاروا عليه وحاولوا منعه من دخول مدينتهم.

وهنا نشير إلى طبيعة النظام العثماني الذي لم يكن لديه مشروع ثقافي يحتوي الولايات العثمانية على اختلاف هوياتهم مما أدى إلى عدم تقبل هذه الولايات للنظام العثماني وعدم الانصهار في الثقافة العثمانية وهو ما يبرر عدم تأثرها بالثقافة العثمانية التي تلاشت بمجرد خروج العثمانيين في فترات لاحقه عن هذا التاريخ.

وبالعودة غلى مساجلات ابن ناصر الذي يشير إلى حفاوة الاستقبال التي قوبلوا بها من قبل أهالي المدينة حيث أكرمهم فقيهها أبو عبدالله المكي، وابن أخته ابن مقيل وأولاد الأخ الصدوق - حسب وصف ابن ناصر - أبى محمد السيد عبدالله بن غلبون" [17].

بدأ ابن ناصر يذكر في ذكر قائمة طويلة من أعيان وعلماء طرابلس الذين استقبلوا ركب الحجيج هذا، وأورد نصا في مدح أهل طرابلس كان قد أنشاه أبو العباس أحمد بن محمد البرنسي هذا نصه :

إخوان صدق في طرابلس سعوا ..... للمجـد بالإدلاج والإسعـاد
أدزي إلى فعل الكرام وأوسعوا ..... وفد الحجيج من النعيم البادي
برزوا بأوجـه حسان في العلا ..... مستوجبين فخار صـدر النار
فاقت صنائعهم ذوي النـــدى ..... شكرا لفعل رواحــهم والغاد
سبقت إلى الإحسان أنفسهم وقد ..... تجرؤ الرياح محامد الآيادي [18]

إلى آخر الأبيات.

ثم يستأنف هذا الرحالة في وصف المدينة حيث يقول "وعلى مدينة طرابلس سور عظيم صخر جليل البنيان وهي على شاطئ البحر وبها أسواق حافلة وحمامات كثيرة فاضلة، وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، ومرساها مأمون من أكثر الرياح ومدينة طرابلس كثيرة الثمار ...إلخ" [19]، ويبدو أنه نقل هذا الوصف عن الشيخ محمد بن علي شارح الشقراطسية والذي بدوره نقله عن البكري،[20] هنا يصف هذه المدينة في صورتها القديمة والتي لا تزال قائمة إلى يوم الناس هذا.

كان ابن ناصر دقيق في وصف كل ما يشاهده في مدينة طرابلس فلم يترك لا شاردة ولا واردة فها هو يصف إبلها ويثني عليها بقوله "وإبل عمالة طرابلس غاية في الجودة قل أن يوجد لها نظير شبيهة بإبل بلدنا بل تزيد هي عليها بكثرة الخدمة فإنهم يستعملونها في سائر الأشياء حتى الحراثة والدراسة ويسقون عليها ويديرون بها الرحى فتمرنت على المشاق العظيمة، مع طيب هواء البلد ونقاء مرعاها فيقل فيها الغش وتندر أمراضها ولذلك قيل في أمثال الحجاج جمل طرابلسي وقربة مصرية".[21]

في هذا الوصف يوضح مدى اعتماد السكان على الإبل في تدبير شؤون حياتهم اليومية ويوضح جودة أنواع الإبل الطرابلسية ومميزاتها، وحرص ابن ناصر أثناء تواجده في طرابلس على لقاء العلماء والأعيان فقد زار مفتي البلد هو وركب الحجيج الذي معه فقد قال ما نصه "ولما اطمأن بنا المنزل ذهبنا لزيارة شيخنا مفتي البلاد سيدي محمد بن أحمد بن مساهل رضي الله عنه فلقينا أحسن الملاقاة وفرح بقدومنا"[22].

بحسب ما أفاد ابن ناصر فإن الشيخ محمد بن مساهل كان متبحرا في العلوم الشرعية عالما بفروع المذهب وهنا نعتقد بأنه يعني أو يقصد المذهب المنتشر والمعمول به في بلاد المغرب.

كما أورد ابن ناصر في رحلته حادثة أخبره بها الشيخ محمد بن مساهل أنه في سنة أربع وستين في الرحلة التي قبل هذه أنهم (أي أهل طرابلس) سمعوا سنة اثنين وستين وألف صوتا هائلا من ناحية البحر كأنه صوت المدافع واستمر هذا الصوت يتردد من الضحى غلى الليل وقد اعتقدوا - حسب كلام الشيخ ابن مساهل - انه صوت لسفن المسلمين قد تلاقت مع بعض سفن النصارى ويستطرد في حديثه فيقول إن هذا الصوت قد سمعه أهل هذا الساحل إلى مصراته [23].

هذه الرواية ربما غريبة بعض الشيء ولا نعتقد أنها أصوات سفن كما ورد لأنه لا يعقل أن يكون كذلك وإلا كيف يسمع في مصراته وربما أماكن أبعد مثلما ورد في الرواية ونرجح أن يكون الصوت الذي سمع - إن صح أصلا - هو ثورة بركان في إحدى جزر البحر المتوسط والقريبة من طرابلس وهذا ما بدر إلى مسامعهم من بعض السفن القادمة من بر الترك وهو أمر لم يكن مألوفا لديهم.

كما يتعر ض ابن ناصر في سياق رحلته هذه إلى حادثة احتلال الأبسان لطرابلس، في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ويصف هذه الحادثة التاريخية وصفا كاملا وشاملا، وذكر عدد السفن التي حاصرت طرابلس آنئذ وقامت بضربها بالمدافع[24].

هذه الحادثة التي ذكرها ابن ناصر من الحوادث التاريخية المهمة، وتعتبر هذه الرحلة من المصادر المهمة التي لا يمكن للباحث في هذه الفترة من الاستغناء عنها خاصة وان ابن ناصر عندما كتب عنها كان قريب عهد منها ولابد له أنه استقى معلوماتها من بعض سكان هذه المدينة التي لا تزال أحداثها محفوظة في ذاكرتهم.

كنا قد أشرنا سابقا إلى أن ابن ناصر كان مهتما بلقاء أهل العلم والأعيان في هذه المدينة فنراه هنا يلتقي بأهل العلم والثقافة وأصحاب الطرق الصوفية العارفين لله، فقط ذكر أنه التقى بالسيد أحمد بن عبدالواحد بن يوسف الزنزوري ثم الفزاني وهو من سكان زاوية زنزور حيث كان هذا الشيخ مهتما بركب الحجيج هذا طيلة فترة إقامتهم بطرابلس، وحين ودعهم أنشد فيهم قائلا:

أيا سيدي حقق بأنا عبيـــدكم ..... ذليل حقيـــــر بين قـوم أراذل

ونفس له شيطانها قد بلي بها ..... هــواه وإبليــس ودنيــا العـلائل

أفيضوا عليه سيدي من نوالكم ..... عسى وعسى يعلو على كل كاهل

ويفهم مولاي علوم دقيقة ..... ويمسي خلي القلب من كل شاغل[25].

يستمر ابن ناصر في ذكر أهل طرابلس من الأجلاء والعلماء حيث ذكر منهم أبو عبدالله سيدي محمد بن مقيل وصهره الأجل سيدي أحمد بن محمد المكني حيث أشار إلى إكرامهم لركب الحجيج وذلك بإحضار الطعام وغيره مما يحتاجونه، وذكر في الأثناء أحمد بن محمد الهشتوتي وذكر بأنهم قرأوا على شيخنا أبي العباس سيدي احمد القصري تأليف على السريع المجيب، وهو محدث فقيه صوفي[26].

ومما يؤخذ على ابن ناصر اعتقاده في الفكر الصوفي والأدلة الحقيقة كثيرة في رحلته هذه وربما المجال لا يسعها كلها حصرا، ولكن منها على سبيل عندما ذكر الشيخ خطاب البرقي فقد نعته بأنه الرجل الصالح يكنى بابي نزار وكان ذا كرامات في باب المرائي ظهرت له في ذلك عجائب، وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة.[27]

النظر المتأني فيما قاله ابن ناصر يتضح جليا أنه متأثر غاية ما يكون التأثر بالفكر الصوفي والمعتقد الصوفي الذي كان سائدا في بلاد المغرب الإسلامي عامة وطرابلس خاصة.

لا يزال ابن ناصر يسهب في ذكر الأعلام بمدينة طرابلس فها هو يذكر أبو الحسن علي بن احمد بن الخطيب الطرابلسي[28] الفقيه، وقبل أن يذكره أورد رواية سحنون بن سعيد* لما رجع من الحج قيل له من رأيت من الصالحين فقال "لقيت بطرابلس رجال ما الفضيل بن عياض بأفضل منهم"[29] حيث ذكر منهم أبو الحسن سالف الذكر ونوه على بعض صفاته والتي منها العلم والصلاح والزهد، وذكر مجالات تأليفه في الفرائض والفقه والشروط.

استطرد الرحالة ابن ناصر في ذكر الأعلام والشيوخ وأهل الصلاح، ومنهم الأموات الذين زار قبورهم فأورد منهم "الفقيه الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الإجدابي اللواتي الطرابلسي وقبره معظم يكثر الناس من زيارته والدعاء عنده"[30] وقد أثنى عليه وذكر بعض من كتبه منها: كفاية (المتحفظ و نهاية المتلفظ) وكتاب في العروض في الرد على حفص بن مكي، وكتاب (شرح ما آخرة ياء مشددة من الأسماء واعتلال هذه الياء) وكتابه (المختصر في علم الأنساب) وذكر تأليفه المسمى (مختصر في الأنواء على مذهب العرب) ورسالته المعروفة (برسالة الحول) وهنا أورد إشارة إلى أنه ملك هذا التأليف الأخير للفقيه أبو إسحاق وهي بخطه[31]، وهنا يجب التنويه أن هذا التأليف الأخير يمكن الحصول عليه، وهو مخطوط مهم فربما يتصدى لتحقيقه ودراسته ونشره أحد العارفين بعلم تحقيق النصوص ونشرها.

استمر صاحبنا في ذكر الأعلام المنتمين لطرابلس موردا عنهم معلومات في غاية الأهمية لولاه لما عرفناها ومن هنا تأتي أهمية هذه الرحلة بالنسبة لتاريخ طرابلس وبرقة وكل الأماكن التي تناولها ومر بها في رحلته هذه، ومن هذه المعلومات ذكر مؤلفاتهم وتخصصاتهم والعلوم التي يتقنونها وغير ذلك، وكان دائما ما يذكر بعض الحوادث التاريخية مثل واقعة المشارقة [32].

من خلال ما تقدم في هذا البحث نسجل الملاحظات يتضح أن الوالي العثماني الذي كان حاكما على طرابلس من قبل الدولة العثمانية أنه وأهل طرابلس لم يكونوا على وفاق معه لأنه كان جائرا وهنا يعكس ذلك تذمر الأهالي من الحكم العثماني مما ساهم إلى حد كبير بإسدال الستار على العهد العثماني الأول وبداية العهد القرمانلي.

هذا من جانب ومن جانب آخر كان لفضلاء طرابلس نصيب من هذه الرحلة فقد أثنى على علمائها وأعلامها مثل فقيه المدينة أبوعبدالله المكي ويستطرد في الحديث وينقل بعض الأبيات في وصف هذه المدينة التي يبدو أنه كان مسرورا مما لقيه من أهلها من كرم الضيافة وحسن الاستقبال له ولركب الحجيج الذي كان معه.

أشار أيضا إلى بعض مناحي الحياة للناس في هذه المدينة وخاصة الاقتصادية منها، حيث أشار إلى اعتماد الأهالي على الجمال في تدبير شؤونهم وأثنى على أنواع الإبل التي كانت موجودة في ذلك الوقت، ليس فقط الأدب وبعض الجوانب الحياتية في هذا الإقليم بل كان للأماكن والمواقع مساحة من هذه الرحلة فلم يغفلها هذا الرحالة وهو موضوع المبحث التالي.

رابعا: ذكر الأماكن والمواقع في طرابلس عند ابن ناصر:

ليس هذا فحسب فإن الرحالة ابن ناصر لم يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها، فبالإضافة إلى ذكره للأعلام وآثارهم كما مر بنا آنفا إلا أنه لم يهمل ذكر المواقع والأماكن التي مر بها مع ركبه.

فبعد وصوله لطرابلس وقضائه بعض الوقت فيها غادرها في يوم الجمعة 27 من شعبان عام 1121هـ/ الموافق 23 من أكتوبر 1709م ونزل بتاجوراء* وشرع في ذكر بعض من أهلها من الأفاضل والأعيان[33].

ثم يذكر بعد مغادرته لتاجوراء وادي الرمل وقدم له وصفا فذكر أنه وادي متسع عذب الماء لا ينقطع صيفا ولا شتاء ومبدؤه من الجبل قاطعا إلى البحر[34]. وهذا المكان يبدو أنه مخصص لرعي المواشي، فقد ذكر التجاني هذا لوادي فقال ما نصه: "وفي أعاليه عند سفح الجبل قصر يعرف ب صيبار بكسر الصاد المهملة بعدها ياء معتلة ثم باء مفردة ... وبقرب البحر في أسفل هذا الوادي بئر يعرف هذا الموضع به فصار القبر اسما علما له وهو لرجل من العرب من ذباب ثم من بني عيسى منهم".[35]

يواصل سرده ويذكر أنهم "مروا بوادي المسيد، وهو كالذي قبله أو أخصب منه وماؤه ماء غزير لا ينقطع صيفا ولا شتاء" [36].

ومما يلفت النظر أن هذه المواقع التي يشير إليها الرحالة ابن ناصر منها ما هو لم يعد معروفا الآن أو تغير اسمه وفي هذا الخصوص بمثابة أطلس جغرافي للمواقع المعروفة في طرابلس في ذلك الوقت.

موقع توغرت وهو مكان قد نزل بهم ركبهم فيقوم بوصفه بأن بها بئر عذب ماؤها قام بحفره سيدي عبدالسلام بن عثمان*وغرس عليها شجرة من شجر التوت[37] وذكر موقع النكازة وهي بأعلاها وأسفلها آثار أبنية كثيرة [38].

وهنا يركز ابن ناصر على منابع المياه التي تصادفه وكأني به يريد أن يكون دليلا أو مرشدا لركب الحجيج الذي سيأتي بعده من بلاده بلاد المغرب.

واتى على ذكر مدينة لبدة وأنها قد خلت في العصور الأوائل وبقيت آثارها ورسومها وأن البحر قد أكل كثير منها [39]، وقد استطرد الرحالة في وصفها ذاكرا آثارها العظيمة، ويأتي على ذكر معلومة مهمة وهي أنه في هذه الأثناء - وقت مروره على لبده - يتم نقل أعمدة الرخام إلى طرابلس وإلى مصر وإلى غيرهما من البلدان، وكان العبدري قد ذكرها في رحلته وأفاد بأنه وجدها خاليه[40].

ومدينة لبده وهي مدينة رومانية قديمة ولا نعتقد هي فقط الموجودة الآن فهي أعظم من ذلك وأن الكثير من أعمدتا يتم نقله إلى أماكن عدة مثلما مر بنا.

بلدة ساحل الأحامد يبدو أنها المحطة التي بعد مدينة لبدة حيث ركز على وصف تمرها وأفاد بأنه من النوع الردئ[41] أي بمعنى انه ليس من أنواع التمور المستساغة بالنسبة لهم.

أتى على ذكر بلدة الفواتير "وهي بإزاء زاوية سيدي عبدالسلام قريب بنحو من فرسخ وفيها مزارات كثيرة للأحياء والأموات"[42] وكان يذكر كل موقع يمر به أو يغادره "فذكر أنه نزل غربي مصراته بين العشاءين ومن الغد ارتحلنا ونزلنا خارج قصر أحمد"[43].

بوصول ابن ناصر ومن معه إلى قصر أحمد هذا المكان الواقع شرقي مصراتة بحوالي كيلو متر ومغادرة ركبه له يغادر طرابلس وأعمالها.

لقد ركز ابن ناصر على كثير من المواقع في طرابلس ولكن ما نلفت نظرنا هو تركيزه الأكبر على الأودية مثل وادي الرمل ووادي المسيد وأيضا على مصادر المياه وهذه الأخيرة دون شك دائما محل اهتمام الرحالة والمسافرين وبالذات ركب الحجيج المغاربي والتي يحتاج إلى المياه بطبيعة الحال، يقف عن هذا الحد من ذكره لمواقع وأماكن طرابلس التي غادرها إلى إقليم برقة ومواقعها وأماكنها، وهو محور حديثنا التالي.

خامسا: ذكر الأماكن والمواقع في برقة عند ابن ناصر:

يذكر ابن ناصر نخيل تورغا (تاورغاء)* ويصفها بأنها بلدة منطقة أول برقة، وفيها نخل كثير وتمرها أطيب من غيرها من بلاد الساحل وأجود منه[44]، وهنا يبدو لنا أن برقة في ذلك الزمان تبدأ من بلدة تاورغاء.

يسترسل ابن ناصر في وصفه لهذه البلدة ذاكرا أن بنائها من الأخصاص*المصنوعة من سعف النخيل وهو المتوفر لديهم في ذلك الوقت أما بناء الطين بها فهو مخصص للخزين ومبني من الطين والأحجار وبائها لا يكاد ينهدم وهي واسعة[45].

يتضح لنا أن ابن ناصر وركبه لم يقضوا زمنا طويلا في هذه البلدة لأنه لم يأت إلا على وصفها ووصف أبنيتها ولم يذكر أحد من إعلامها أو وجهائها وهذا دليل على عدم بقائهم فيها بعض من الزمن، من جانب آخر أن ركب الحجيج قد غادر لتوه المنطقة القريبة من هذه البلدة ولا توجد ضرورة لبقائهم في تاورغاء.

الموقع الذي يذكره بعد تاورغاء هي الهائشة (الهيشة)* ويصف ماؤها "بملح أجاج لا يكاد يساغ يضرب به المثل في القبح ليس في مياه برقة أقبح منه"[46].

يأتي هنا بكلام عبدالله العياشي الذي يقول عن هذا الموقع ما يلي: "... وهي سبخة مستطيلة وعلى جوانبها بناء وقصور خالية وفيها نخل متفرق كأنه رؤوس الشياطين لا ترى أوحش منه ولا أثقل طلعة على الحاج في ذهابه - سيما المعاود - لما يستشعر به من المهامة والمفاوز والمعاطش التي يحار فيها الدليل كما لا آنس منه ولا أبهى منه في منظر الآيب لدلالته على انقضاء المفازة وقرب العمارة ونخيله آخر نخل يراه الذاهب وأول ما يراه الآيب" [47] ، انتهى كلام العياشي.

هذا المكان واضح من خلال هذا الوصف غير عامر بالحياة ولا توجد به عمارة في هذه الأثناء فهو عبارة عن مفازة يقطعها الآيب والغادي نظرا لعدم وجود سبل الإقامة فيها وهي أشبه بمكان صحراوي خالي من كل شيء إلا بعض أشجار النخيل.

المكان الآخر الذي يذكره هو آبار حسان أو قصور حسان والتي شيدت زمن بني أمية في آخر خلافة بني مروان، وحسان هذا من الفاتحين لبلاد المغرب كان واليا عليها من طرف عبدالملك بن مروان "في سنة ثلاث وسبعين للهجرة الموافق (693م) فمضى في جيش كبير نزل أطرابلس (...) فنزل قصورا من خبر برقة فسميت قصور حسان"[48].

وهذا المكان يبدو أنه يقع في المسافة بين الهيشة التي مرت بنا وسرت ولم يذكر أحدا من قاطنيها ولا ندري سبب سكوته عن ذلك إلى أن مقامه في هذا المكان لم يطول، وبالتالي كان هذا ديدنه فهو عندما يمر على مكان خاصة إذا كان هذا المرور سريع فهو لا يذكر أكثر من وصفه سريعا.

من الطبيعي فلابد لركب الحجيج هذا من المرور على قصور سرت كما كانت تعرف آنئذ حيث يصفها الدرعي بقوله "وبلاد سرت هذه من أخصب البلاد وأمرئها ذات مزارع كثيرة بالبعد، وعربها أهل رفاهية إلا أن الجور أجلاهم عن بلادهم وشتت شملهم ولا يكاد أمرهم ينتظم ولهم جدار وعقار كثيرة بساحل أحمد"[49].

هنا ابن ناصر أبان محاسن هذا الموقع ولكنه أتى على ذكر إجلاء أهلها من الجور الذي تعرضوا له مما جعلهم يتركون بلادهم وسكناهم ونعتقد أنه يقصد وقت مروره عليها أي في أواخر العقد الأول من القرن الثامن عشر وفي هذا الوقت فإن السلطة الحاكمة هي السلطة العثمانية أي في آخر ثلاث سنوات من العهد العثماني الأول وفي هذه الفترة كانت هذه الولاية تمر بأسوأ حالتها من فرض الضرائب والمعاملة السيئة التي تعرض لها سكانها تحت هذا الحكم، وهو ما جعل أمورها السياسية ستتغير في غضون سنوات قلائل ويبدأ ما يعرف بالعهد القرمانلي.

بدأ ابن ناصر في ذكر "برقة وأنها على مسافة شهرين من الإسكندرية إلى إفريقية، وكانت متصلة العمارة لا تكاد تسير فيها بريد ليس فيه أثر بناء ورسوم عمارة دائرة وقد جاء الإسلام وغالبها عامر، ثم لم تزل عمارتها تضعف من مرج الرعية وظلم بعضهم بعضا إلى أن خرج عرب هلال من مصر أواخر الرابعة وأوائل الخامسة فخربوا البلاد واستولوا على القرى فأفسدوها وخلت البلاد يومئذ" [50].

يشير هنا إلى أن برقة كانت عامرة على مر الزمان غلى أن نزلت بها بعض الأحداث مثل الحروب الأهلية والتي كانت تجري بين الفينة والأخرى، ويشير أيضا إلى الهجرة الهلالية التي كانت في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس للهجرة وأن هؤلاء الأعراب أسهموا في خرابها على حد وصفه.

من بين الأماكن التي ذكرها أيضا سبخة مقطع الكبريت، وهذا الموقع يبدو أنه عبارة عن سبخة ولكن يوجد بها معدن الكبريت بكثرة ولهذا سميت باسمه وهذا المعدن كان يحمل إلى مصر وطرابلس وكذلك الإسكندرية [51].

ومما يلفت النظر أن الحجيج كانوا عندما يمرون بهذا الموقع يحملون معهم هذه المادة إلى مصر وعلى ما يبدو أنها مطلوبة في مصر والإسكندرية، وتستمر الرحلة ويذكر العديد من المواقع وخاصة مصادر المياه لأنهم دائما يأخذون حاجتهم منه والملاحظ أن مصادر المياه كثيرة على طول طريق ركب الحجيج وإن وصف بعضه بالملح الأجاج كما مر بنا.

يصل الرحالة ومن معه إلى بالقرب من إجدابية عند قصر دثر منذ زمن ثم يرد على ذكر مسجد كان قد درس به الإمام سحنون مدة ثلاث سنوات [52]، وهنا يأتي بمعلومات تاريخية كثيرة وهو معتمد في ذلك على ما كتبه أبو سالم العياشي عنها [53].

هنا يتحدث ابن ناصر عن إجدابية ويأتي على أنها هي مدينة برقة والواضح لنا أن ساكنيها يعتقدوا فيها أنها هي مدينة برقة القديمة ولكنها لا يتفق مع هذه الرواية ويأتي بكلام العياشي عندما تعرض لمدينة إجدابية في رحلة ماء الموائد[54].

وحتى العياشي لم يجزم بأن مدينة إجدابية هي مدينة برقة القديمة، ثم يستشهد ابن ناصر بكلام البكري عندما تحدث عن برقة "برقة في صحراء التربة والمباني فتحمر لذلك ثياب ساكنيها والمتصرفين لها وعلى ستة أميال منها الجبل"[55].

ثم يأتي بذكر تقسيم برقة كما وصفها العياشي في رحلته، ويبدو له أن برقة كما كانت تعرف عند أهلها هي "مقسمة من حسان إلى ما ورائها إلى ما وراء الأحمر بيومين يسمى: سرت، ومن هناك غلى قرب المنعم يسمى: برقة البيضاء، ومن هناك إلى سلوك*يسمى: برقة الحمراء ومنه إلى التميمي يسمى: الجبل الأخضر، ومنه إلى العقبة الكبرى يسمى: البطنان، ومن العقبة الكبرى إلى الصغرى يسمى: بين الأعقاب، ومن العقبة الصغرى إلى الإسكندرية يسمى: العقبة الصغرى"[56].

ما يجب التأكيد عليه أن إقليم برقة يشمل مساحات شاسعة حيث أنه في فترة القرن الثامن عشر يبدأ من تاورغاء إلى مشارف الإسكندرية وهذا ما أورده الرحالة المغاربة الذين زاروا هذا

الإقليم في سفراتهم العديدة لأداء فريضة الحج وهم بذلك يعتبرون من المحايدين في وصفهم لهذه الأماكن ولم يكن في لديهم أجندة معينه تدفعهم لتزييف الحقائق.

يصل الركب إلى الجبل الأخضر ويشيد الرحالة برواج تجارة الماشية من إبل وأغنام وتوفر السمن، ونتيجة للوفرة في هذه السلع فإنه يشير إلى رخص ثمنها بمقارنة ذلك ببعض المناطق التي مر بها، ويبدو أن التعامل في عمليات البيع والشراء هي بطريقة المقايضة فهم لا يعرفون قدرا للدرهم والدينا [57] حسب وصفه.

في ذات السياق يعرج على نقطة مهمة لم يشير إليها غيره فيما نعلم وهي تبعية مناطق الجبل الأخضر لأوجلة[58] وعلى ما يبدو أن أوجلة في هذه الأثناء هي مقر للحاكم التركي والذي تتبعه مناطق الجبل الأخضر هذا احتمال، الاحتمال الأخر هو أن والي برقة من قبل السلطات في طرابلس كان يدير الولاية من واحة أوجلة ربما هذا راجع لموقعها الجغرافي الممتاز، ولوقوعها على طرق المواصلات والقوافل.

هذه المعلومات التي أوردها في غاية الأهمية وتهم الباحثين في الجوانب الاقتصادية والسياسية لهذا الإقليم، ومن جانب آخر يشيد بكثافة الغابات في الجبل الأخضر وخاصة نبات العرعر بحيث أن المار يجد صعوبة في مسالك هذه الغابات، ولكنه يشير إلى معلومة غريبة حيث قال ما نصه "ومما شاهدناه من عرب هذا الجبل من الغرائب ركوبهم على البقر وحملهم الهوادج عليها" [59].

هذه المعلومة الغريبة لم يتوفر لنا ما يؤيدها فلم يذكرها غيره على ما نعتقد، ولا يستبعد أن يكون الأمر كذلك خاصة وأن البقر يربى في الجبل الأخضر كذلك لا يمكن لدابة أخرى أن تتمكن من السير بسهولة في الجبل الوعر مثل الإبل.

يواصل سرده ويشير إلى وصوله لوادي مسوس ونعتقد أن ذلك قبل وصولهم للجبل بعد ذلك ذكر مواقع عدة منها وادي سمالوس* والمخيلي ويصل ركبهم إلى التميمي وهي بداية البطنان وهنا يأتي بمثل معروف عند الأهالي وهو (شربة الوقيع خير من أكلة الربيع)[60].

ثم يذكر مدينة درنة وبعض من تاريخها، يذكر بد ذلك عين الغزالة حيث أشار إلى عذوبة مائها ويستطرد في ذكر الكثير من الأماكن إلى يصل ركبهم إلى موقع العقبة، وهنا نرى أن تتبعنا لمشاهداته تقف هنا لسبب بسيط وهو أن هذه العقبة هي حدود برقة الحالية وليست هي حدودها في وقت وصول ابن ناصر مثلما مر بنا.

ـ الخاتمة:

بعد دراسة رحلة احمد بن ناصر الدرعي ومشاهداته وانطباعاته عن إقليمي برقة وطرابلس نستشف منها بعض النتائج التي تستوجب طبيعة الدراسة تسجيلها وهي على النحو التالي:

- اتضح لنا الرحالة ابن ناصر لم يكن من طراز عادي بحيث إن مشاهداته لن يكون لها قيمة علمية بل إنه عالم جليل من العارفين بالله وكانت لتنشئته في موطنه وفي كنف عائلته وخاصة أمه لها من التأثير على تكوينه فقد كانت هذه الأسرة لها باع في العلوم المعروفة في المغرب وأيضا ثقافة التصوف وهي الثقافة السائدة آنئذ، مترجمنا لديه العديد من المؤلفات ليس فقط الرحلة الناصرية التي نحن بصدد دراستها منها كتاب الأجوبة.
- الرحلة لم تكن تتناول بعض الأحداث التاريخية أو انطباعات شخصية فهي نصا أدبيا يمكن لدارس النصوص الأدبية من إيجاد بعض ضالته في النصوص الأدبية من نثر ومن شعر، وهذه النصوص هي لأعلام من إقليم طرابلس وهو الجزء الذي درسناه، يشير من جانب آخر

إلى كثير من مظاهر التصوف التي كانت سائدة في الإقليم في ذلك الوقت، وهو أمر في غاية الأهمية من وجهة نظرنا على الأقل.

- اتضح أن الوالي العثماني الذي كان حاكما على طرابلس من قبل الدولة العثمانية أنه وأهل طرابلس لم يكونوا على وفاق معه لأنه كان جائرا وهنا يعكس ذلك تذمر الأهالي من الحكم العثماني مما ساهم إلى حد كبير بإسدال الستار على العهد العثماني الأول وبداية العهد القرمانلي وهنا نشير إلى طبيعة النظام العثماني الذي لم يكن لديه مشروع ثقافي يحتوي الولايات العثمانية على اختلاف هوياتهم مما أدى إلى عدم تقبل هذه الولايات للنظام العثماني وعدم الانصهار في الثقافة العثمانية وهو ما يبرر عدم تأثرها بالثقافة العثمانية التي تلاشت بمجرد خروج العثمانيين في فترات لاحقه عن هذا التاريخ.

هذا من جانب ومن جانب آخر كان لفضلاء طرابلس نصيب من هذه الرحلة فقد أثنى على علمائها وأعلامها مثل فقيه المدينة أبو عبدالله المكي ويستطرد في الحديث وينقل بعض الأبيات في وصف هذه المدينة التي يبدو أنه كان مسرورا مما لقيه من أهلها من كرم الضيافة وحسن الاستقبال له ولركب الحجيج الذي كان معه.

أشار أيضا إلى بعض مناحي الحياة للناس في هذه المدينة وخاصة الاقتصادية منها، حيث أشار إلى اعتماد الأهالي على الجمال في تدبير شؤونهم وأثنى على أنواع الإبل التي كانت موجودة في ذلك الوقت.

- لقد ركز ابن ناصر على كثير من المواقع في طرابلس ولكن ما نلفت نظرنا هو تركيزه الأكبر على الأودية مثل وادي الرمل ووادي المسيد وأيضا على مصادر المياه وهذه الأخيرة دون شك دائما محل اهتمام الرحالة والمسافرين وبالذات ركب الحجيج المغاربي والتي يحتاج إلى المياه بطبيعة الحال، يقف عن هذا الحد من ذكره لمواقع وأماكن طرابلس.

- إن إقليم برقة كان ممتدا ويصل إلى الإسكندرية في زمنه أي في بداية القرن الثامن عشر، هذا من جانب من جانب آخر كان متابعا دقيقا لتقاليد وعادات هذا الإقليم فقد أورد بعض من جوانب حياتهم الاقتصادية وكيف أن هذا الإقليم كان يصدر السمن والماشية للإسكندرية وطرابلس كما أنه أشار إلى عادة ركوب أهل الجبل للبقر، وهي عادة غريبة ولكن ربما لها ما يبررها نظرا لوعرة الجبل على الحيوانات الأخرى، وعلى الله حسن الختام.

- الهوامش:

1- محمد المكي الناصري الدرعي، الدرر المرصعه في أعيان درعة (الترجمة الكاملة للشيخ) تحقيق محمد الحبيب ، ص ص111-137، نقلا عن الرحلة الناصرية .

2- أنظر، الأفراني، محمد الصغير الأفراني، صفوة من إنتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، طبعه حجرية، ص221، ومحمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349 هجرية ، ص332، ومحمد البشير ظافر الأزهري، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، مطبعة الملاجئ العباسية ، 1324 هجرية، ص42، ومعجم سركيس ،872:1؛ والاعلام بمن حل مراكش 158:2: خير الدين الزركلي، الاعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين) الآبري – إغناطيوس ، المجلد الاول ، بيروت-لبنان، 1999، ص241.

3- أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709-1710، حققها وقدم لها: عبدالحفيظ ملوكي، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011، ص19.

4- عمالك ، أحمد ، الزاوية الناصرية ودورها السياسي والاجتماعي، دكتوراه دولة ، أشرف عليها الأستاذ محمد حجي ، كلية الآداب ، الرباط ، مرقونة، 2001، ص75-81.

5- نفس المرجع ، ص 100.

6- أبو سالم عمار ، أبو الحسن الشاذلي ، طبع بمصر، عام 1952.

7- الرحلة ، ص33.

8- نفس المرجع ، نفس الصفحة .

9- عبدالعزيز الحلوي، "الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال بعض كتب الرحلات "(أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء) طرابلس، تنظيم كلية الآداب وكلية الدعوة الإسلامية ، مراجعة وتقديم د. عبدالحميد عبدالله الهرامه، 1998، ص 426.

10- محمد علي الناصري، الزاهي، الشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر ، تحقيق المهدي الغالي ، رسالة د. د.ع ، إشراف الأستاذ محمد المنوي وأحمد عمالك ، كلية الآداب ، الرباط ن 1999، ص .253

11- الرحلة ، ص .37

-12 Mercel Bodin-LA Zaouia de Tamegrout-In Archives Berberes-T0meil-1918 p.

13- محمد مكامان ، الصلات المغربية في القرنين 11-12 للهجرة ، د د ع ، إشراف د: محمد حجي ، كلية الآداب الرباط ، 1986، مرقونة الصفحة ، .168

14- المصراتي، علي مصطفى ،أعلام من طرابلس ، الطبعة الثانية ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس – ليبيا ، 1972، ص 22.

15- العياشي ، أبو سالم عبدالله، الرحلة العياشية ، تحقيق ناصر بن سعيدون ، فاس ، 1898.

* في شهر نوفمبر عام 1709 اندلعت ثورة جديدة أدت إلى الإطاحة بالوالي خليل باشا أنظر، فيرو شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية الدكتور محمد عبدالكريم الوافي، الطبعة الثالثة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994، ص.253

16- الرحلة ، ص .167

17- الرحلة، ص.167

18- الرحلة ، ص .168

19- الرحلة ، نفس الصفحة.

20- انظر أبو عبيدالله البكري ، المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن وآندريه فيري، تونس – ليبيا ، الدار العربية للكتاب، 1992، ص 649-650 .

21- الرحلة ، ص 172.

22- الرحلة ، ص .173

23- الرحلة ، ص .177

24- شارل فيرو ، الحوليلا الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي ، مرجع سبق ذكره ، ص .76

25- الرحلة ، ص178- 179.

26- الرحلة ، ص 182-.183

27- الرحلة ، ص .184

28- الرحلة ، ص 185 .

* الامام سحنون بن سعيد عبدالسلام سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي من أشهر فقهاء المالكية بالمغرب ، ولد بمدينة القيروان سنة 160 هجرية .

29- الرحلة ، ص .185

30- الرحلة ، ص .186

31- الرحلة ، ص 187.

32- الرحلة ، ص 187.

* نبذه عن مدينة تاجوراء تقع إلى الشرق من مدينة طرابلس وبها ضريح الشيخ محمد الاندلسي الذي ذكره الخروبي ضمن شيوخه ، أنظر: محمد بن علي الخروبي ، شيوخ أبي عبدالله الخروبي ، تقديم وضبط عبدالحميد الهرامه ، ط1، بيروت ، أصالة للنشر والتوزيع ، 1999، ص76-77.

33- يعرف شيعة المغرب بالمشارقة أنظر معالم الايمان في معرفة أهل القيروان لابي زيد عبدالرحمن بن محمد الانصاري الاسيدي الدباغ ، تحقيق محمد ماضور ، تونس المكتبة الفنية، 1978، ج3، ص65.

34- الرحلة ، ص 194.

35- الرحلة ، ص 195.

36- أنظر التجاني ، رحلة التجاني ، قدم لها حسن حسني عبدالوهاب ، تونس – ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، 1980، ص 309-310.

37- أنظر الرحلة، ص197.

38- الرحلة ، ص 202.

39- الرحلة ، 203.

40- العبدري ،أبوعبدالله محمد بن محمد بن علي بن أحمد العبدري ، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، 1968، ص 483.

41- الرحلة ، ص 204

42- الرحلة ، ص 204.

43- الرحلة ، ص 235.

44- الرحلة ، نفس الصفحة.

* الأخصاص تشبه إلى حد كبير الأكواخ أو بيوت الشعر إلى أنها مصنوعة من سعف النخيل وفي بعض مناطق برقة تصنع هذه الأخصاص من أغصان الغابات.

45- الرحلة ، ص236.

* مدينة الهيشة تقع غرب مدينة سرت بحوالي ستون كيلو مترا

46- ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق ، علي محمد عمر ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1995، ص228.

47- الرحلة ، ص 237.

48- الرحلة ، ص 238.

49- الرحلة ، 237.

50- الرحلة ، ص 238.

51- الرحلة ، ص 238.

52- الرحلة ، ص238.

53- ينظر ماء الموائد ج1 ، مرجع سبق ذكرة ، ص 104.

54- ينظر، محمد بن عبدالمنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار(معجم جغرافي مع فهارس شاملة) تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان، 1984، ص 11-12. صفي الدين عبدالمؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع (مختصر معجم البلدان لياقوت) تحقيق وتعليق، علي محمد البجاري، المجلد الأول ، بيروت لبنان ، دار الجيل ، د. ت.

55- ينظر ماء الموائد ، ج1، مرجع سبق ذكره ، ص 104-105.

56- البكري، المسالك والممالك، ج2،مرجع سبق ذكرة ، ص 649-650.

* يذكر الرحالة موقع سلوك وربما يقصد بلدة سلوق بالقاف المعجمة والتي تقع جنوب غرب مدينة بنغازي بحوالي خمسين كيلو مترا .

57- الرحلة، ص ، 242.

58- الرحلة ، ص 243.

59- نفس المصدر ، نفس الصفحة.

* وادي يقع جنوب الجبل الأخضر وهو معروف عند أهل هذه المناطق ويستخدمونه في رعي ماشيتهم .

60- الرحلة ، ص 244.

ـ قائمة المصادر والمراجع:

- Mercel Bodin-LA Zaouia de Tamegrout-In Archives Berberes-T0meil-1918

ـ الأزهري، محمد البشير ظافر، اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، مطبعة الملاجئ العباسية، 1324 هجرية.

ـ أبو سالم، عمار، أبو الحسن الشاذلي، طبع بمصر، عام 1952.

ـ الأفراني، محمد الصغير، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، طبعه حجرية.

ـ ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الثقافة، 1995.

ـ البحلوي، عبدالعزيز، "الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال بعض كتب الرحلات "(أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء) طرابلس، تنظيم كلية الآداب وكلية الدعوة الإسلامية، تقديم د. عبدالحميد عبدالله الهرامه، 1998.

ـ البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع، (مختصر معجم البلدان لياقوت) تحقيق علي محمد البجاري، المجلد الأول، بيروت، دار الجيل، د. ت.

ـ البكري، أبو عبيدالله البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن و آندريه فيري، تونس ـ ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1992.

ـ التجاني، أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد ،رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبدالوهاب، تونس ـ ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1980.

ـ الحميري، محمد بن عبدالمنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار (معجم جغرافي مع فهارس شاملة)، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، مكتبة لبنان، 1984.

ـ الخروبي، محمد بن علي، شيوخ أبي عبدالله الخروبي، تقديم وضبط عبدالحميد الهرامه، ط1، بيروت، أصالة للنشر والتوزيع، 1999.

ـ الدرعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية 1709-1710، حققها وقدم لها: عبدالحفيظ ملوكي، الطبعة الأولى، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2011.

- الدرعي، محمد الناصري، الدرر المرصعه في أعيان درعة (الترجمة الكاملة للشيخ) تحقيق محمد الحبيب.

- الدباغ، أبي زيد عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج3، تحقيق محمد ماضور، تونس، المكتبة الفنية، 1978.

- الزاهي، محمد علي الناصري، الشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر، تحقيق المهدي الغالي، رسالة د. د.ع، إشراف الأستاذ محمد المنوي وأحمد عمالك، كلية الآداب، الرباط ن 1999.

- الزركلي، خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين) الآبري - إغناطيوس، المجلد الأول، بيروت - لبنان، 1999.

- العياشي، أبو سالم عبدالله، الرحلة العياشية، تحقيق ناصر بن سعيدون، فاس، 1898.

- العبدري، أبوعبدالله محمد بن محمد بن علي بن أحمد، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، 1968.

- عمالك، أحمد، الزاوية الناصرية ودورها السياسي والاجتماعي، دكتوراه دولة، أشرف عليها الأستاذ محمد حجي، كلية الآداب، الرباط، مرقونة، 2001.

- المصراتي، علي مصطفى، أعلام من طرابلس، الطبعة الثانية، دار مكتبة الفكر ليبيا، 1972.

- مكامان، محمد، الصلات المغربية في القرنين 11-12، د د ع، إشراف د: محمد حجي، كلية الآداب الرباط، 1986.

- مخلوف، محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1349.

- فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي، نقلها عن الفرنسية وحققها بمصادرها العربية ووضع مقدمتها النقدية الدكتور محمد عبدالكريم الوافي الطبعة الثالثة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1994.